نظرية تولمين ونموذجه في تحليل الحجّة
قصّة محفوظ النقاش مع الجاحظ أنموذجا

Toulmin Theory and Model of Argument Analysis
he story of Mahfouz al-Naqqash and al-Jahiz as an example

أ. **فتيحة لعلاوي**♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-028-001-011

تاريخ الإرسال: **03/08/ 2025** تاريخ القبــول: **12 / 10/ 2025** تاريخ النشر: **15/03/2026**

الملخص: تعالج هذه الورقة البحثية نظرية تولمين في تبيان البنية الحجاجية للخطاب، وهذا من خلال نموذج يشرح فيه كيفية بناء الحجة، وقد قمنا بترجمته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية بما يتوافق والمصطلحات اللسانية العربية. واتخذنا نموذجا تطبيقا لقصة من قصص كتاب " البخلاء" للجاحظ حللنا فيها مختلف البنيات الحجاجية المكوّنة لهذه القصة، واضعين في الحسبان خصائص اللغة العربية أثناء تفكيك مجموع البنيات الحجاجية.

الكلمات المفتاحية: البنية–الحجة؛ نموذج تولمين؛ الجاحظ؛ محفوظ النقاش.

Abstract : This research paper deals with Toulmin theory of explaining the argumentative structure of the speech, through a model he presented to explain how the argument was constructed, and the model translated from French to Arabic in line with Arabic verbal terms. We took a story from Al-Jahiz's book Al-Bukhala as an example and

♥ جامعة الجزائر 2.

البريد الإلكتروني: fatiha.lalaoui@univ-alger2.dz (المؤلف المرسل).

analyzed the various rhetorical structures that make up this story, taking into account the characteristics of the Arabic language while deconstructing the rhetorical structures.

Key words : Structure - Argument- Model Toulmin- al-Jahiz- Mahfouz al-Naqqash

Résumé: Nous avons examinée dans le présent document, la théorie de Toulmin qui démontre la structure argumentative du discours, à travers son modèle conçu pour la structure de l'argument, ce modèle qu'on a traduisait conformément les thermes linguistiques arabes. Nous avons pris comme exemple une histoire tirée du livre « Les avares » de Al-Jahiz, dans laquelle nous avons analysé les différentes structures argumentatives qui composent cette histoire, en tenant compte des caractéristiques de la langue arabe lors du déchiffrage de l'ensemble des structures argumentatives.

وضع ستيفن تولمين (Stephen E. Toulmin) – نظريته عن الحجاج (The Uses of Argument) في عام 1958م ثم أدخل عليها تعديلات في عام 1969م. أمّا الحقول المعرفية التي استخدم فيها الحجاج فقد تعددت وتنوعت وإن اختلفت أنماط هذا الاستخدام باختلاف ذلك الحقل المعرفي فظهر الحجاج في الفلسفة واللغويات والقانون والسياسة والاتصالات وأيضًا علم الذكاء الصناعي.

الفرضيات الرئيسية التي قامت عليها النظرية: تستند نظرية المحاججة إلى مجموعة من الفرضيات الرئيسية تتضح فيما يأتي:

1- تتطلب عملية المحاججة وجود فكرة رئيسية لدي الملقي يحاول إقناع المتلقي بها، وعادة ما تتفاوت مساحـة الاتفاق على تلك الفكرة بيـن طرفي العمليـة الاتصاليـة، وتعدّ عمليـة المحاججة وطرح الحجج في أي خطاب نوعًا

من النشاط الاجتماعي الذي يوّجه للتواصل والحوار والتفاعل مع الآخرين فلا يمكن أن تتم عملية المحاججة في سياق فردي.

2- تستمد الحجّة قيمتها ومعناها ودرجة فعاليتها الحجاجية من خصوصية الحقل التواصلي الذي تظهر فيه والمرجعية الخطابية التي تستند إليها؛ أي إنّ ممارسة عملية سوق الحجّة وصياغتها وتدعيمها في خطاب ما، هي أساس عملية الإقناع والمحاججة لإحداث التأثير المستهدف، ويظل هذا التأثير رهين الإجماع والانخراط في سياق الأفكار والقيّم الداعمة لتلك الحجّة.

3- هدف أي محاججة هو الجدل والإقناع، وهي عملية تفكير واستدلال منطقي فيما يطرحه الخطاب من وجهات نظر تقبل الجدل بشأن ما تقدمه من أدلة وبراهين سواء بالرفض أم القبول، وتتعدد في سبيل ذلك أشكال الحجاج وتتنوع فهناك الحجاج (الصّريح والضمني والجدلي والتبريري و..) وتتعدد استخدامات الحجاج وتتباين مرجعياتها وتأويلاتها تبعًا لنوع هذا الحجاج. ففي النهاية هدف كل خطاب هو الإقناع والتأثير من خلال ما يسوقه من حجج (للتأثير والاستمالة) وأدوات إقناعية (أدلة وبراهين). وغاية الفعل الحجاجي بدوره كما أسلفنا هي الإقناع، ومن ثمّ فقد ارتبط هذا الفعل بالمتلقي وبالآخر فهو يبرهن ويبرر ويدعم ويكشف، وإن كانت حدوده مقيّدة بقيود الاحتمالية والنسبية.

لقد ركز تولمين في نظريته على تناول غير صوري للاستدلال، وهذا رغبة منه في إخراج المنطق من التصور التقليدي العقيم وجعله علما تطبيقا، يمكن أن يشمل الخطابات والمناقشات اليومية العادية، وفي هذا السياق يشير فيليب بروتون Ph.Breton بقوله: "فقد أبدى (تولمين) استياءه من واقع نشأة المنطق الصّوري بعيدا بصفة جذرية عن المناقشة العادية. كما يأسف لمسألة الفصل بينه وبين محاولاتنا اليومية للاستدلال وتوفير الحجج والمحفّزات لإثبات آرائنا ومواقفنا المختلفة"[1] (Ph.Breton, 2000, P54).

يشير كريستيان بلانتان Ch. Plantin إلى نظرية تولمين الحجاجية التي أولت أهمية إلى العوامل السياقية والتداولية في بناء المعرفة، من حيث أنّ الفعل الخطابي لا ينحصر في الحسابات الآلية للحجج، وإنّما تتداخل فيه عوامل نفسية ولغوية وتاريخية شخصيـة شديـدة التعقيد حتى فيما يخص الحوارات داخل النسق العلمي " وعلـى العموم يمكن قراءة عمل تولمين على أنّه مرافعة مـن أجل تحليل الممارسات الحجاجيـة الملموسة، بالعودة إلى الاستعمالات العادية للكلمات مثل" المنطق "و" الحجاج[2] "(Ch. Plantin, 1990, P,22). ويشير نموذج تولمين إلى أهميّة التصنيف وإلى الاستدلال الداخلي للتصنيف في إطار الممارسة الحجاجية، وبالتالي تسخير القياس المنطقي لتأسيس الممارسة الحجاجية[3](Ch. Plantin, 2005, P,22) .

وتبرز نظرية تولمين من خلال نموذجه في تحليل أيّ خطاب، ويعد بأهمية لاستيعابه عناصر تحليل الخطاب الحجاجي، حيث إنّ مفاهيم هذا النموذج تنطبق على أيّ حجة من مجال معرفي إلى آخر (الأدبي، السياسي الإعلامي القانوني...) ويتكوّن هذا النموذج من ستة مفاهيم إجرائية؛ ثلاثة منها أساسية وثلاثة ثانوية، هي:

– **الفكرة الرئيسية:** حجّة أو ادّعاء أو قضية أو موضوع ما، وهو ترجمة لما يريد قائل الخطاب إثباته. ويمثل هذا المفهوم الطرح الرئيسي أو الفكرة المسيطرة على الخطاب. وقد يعبّر عنها من خلال البيانات والمعلومات المتوافرة في الخطاب.

– **الدليل(المعطى) Donnée:** وهو عبارة عن حجج الدّعم أو المبررات والدلائل أو الدوافع والأسباب، بمعنى الأسباب المعطاة من أجل دعم ومساندة وتشجيع الفكرة الرئيسية؛ أي ما الذي ساقه قائل الخطاب ليقنع المتلقين بالفكرة أو الموضوع الرئيسي للخطاب. ويمكن أن يكون الدليل كمّا أو أرقاما أو

إحصائيات، أو كيفا مثل الأوصاف والأحداث. مما سبق يتضح أنّ الدليل (المبررات) وحجج الدعم التي أشار إليها النموذج تعمل في الخطاب عمل مسارات البرهنة التي يستخدمها الكاتب لإقناع المستقبِل بفكرة الخطاب الرئيسية.

– **الضمانات Indicateur de force**: هي الكفالات والرّخص المتمثلة في المعتقدات السائدة والقيّم والآراء المشتركة والرؤى الثقافية والاجتماعية المتعارف عليها، وهي التي تؤكد أو تعبّر ضمنيا عن الحجّة. بعبارة أخرى ما الذي يدعو هذا الخطاب لتعهد وضمان ما جاء في الخطاب من أفكار وموضوعات أو ما هو مصدر هذا الخطاب، ومن أين تأتي سلطته وهنا لا بد للخطاب أن يشترك مرسله ومتلقيه في هذه القيّم والمعايير والمعتقدات التي هي أقرب إلى العرف منها إلى أشياء مفروضة أو منتظمة أو محددة، وتعبّر تلك الضمانات عما هو حاصل بشأنه بإجماع أو القواعد المشتركة بين المرسل والمتلقي، لأنّه في حالة الاشتراك في تلك القيّم والمعايير والأعراف، فهي تدعو متلقي الخطاب للمشاركة بشكل غير متعمد وبدون وعي في ذلك المطلب أو الحجة أو الفكرة الرئيسية، وهنا تربط تلك الضمانات بين الفكرة الرئيسية للخطاب وبين أسباب ومبررات دعمها أو تأييدها أو دحضها. **أما المفاهيم التحليلية الثانوية التي قد تتضمنها الحجّة أو لا تتضمنها فيشير إليها النّموذج فيما يأتي:**

– **احتمالية الحجّة الرئيسية:** تخضع الحجّة في التحليل في إطار هذا النموذج إلي احتمالية الحجّة وليس إطلاقها والتأكيد عليها، فتحليل أي حجّة هو نوع من المشروطية المؤكدة.

– **الاعتراض:** نجده يتمثل فيما يسميه تولمين، قانون العبور (Lois de passage) وهو عبارة عن ردود الخطاب على التحفظات ووجهات النّظر المعارضة، والبديلة والمتنافسة أو المتصارعة للمطلب أو الحجّة الرئيسية سواء تمّ الإشارة إليها من داخل الخطاب نفسه أم وجهت للخطاب من خطابات

المعارضة. ويتوجب على الخطاب أن يتعامل بشكل منصف مع وجهات النّظر المختلفة، وعلى الخطاب أيضًا أن يتضمن إجابات على الأسئلة والاعتراضات التي يمكن أن ترد في ذهن متلقي هذا الخطاب، وإلا سيضعف هذا من حجّة الخطاب ويجعلها عرضة للهجوم من حجج أخرى مضادة، ومن ثم تصبح هذه الدفاعات بمثابة ردة فعل مباشرة للحجج المضادة أو المعارضة.

– **السّند supports**: المساندة التي يقدمها الخطاب للمتلقي لكي يجعل الأعراف والقيّم والمعتقدات الضامنة والكفيلة لحجّة أكثر قبولا ومصداقية، من خلال جماعات المؤيدين لاتجاهات الرأي العام ومقالات الرأي التي يشير إليها الخطاب لمساندة حجّته الرئيسية. ويقدم تولمين مثالا لنموذجه بعناصره السّابقة مؤسسة على القياس القضائي syllogisme juridique (Ch. Plantin, 2005, P,23)[4] كما أشار إليه كريستيان بلونتان على النّحو الآتي:

– ولد هاري ببرمودا. وعليه فالنتيجة هي: أنّ هاري ذو جنسية بريطانية.

جاءت هذه النتيجة ممكنة بسبب الضّامن؛ وهو كلّ شخص وُلد ببرمودا فهو مواطن بريطاني. وهذا اعتمادا على نموذجه:

– المعطى (م): ولد هاري ببرمودا.

– الضامن (ض): كل شخص وُلد ببرمودا فهو مواطن بريطاني.

– الاعتراض (ع): هو كون والدي هاري أجنبيين، وذوي جنسية أمريكية.

– السّند (س): القوانين والتشريعات التي تحفظ حقوق المواطن.

– النتيجة (ن): هاري مواطن بريطاني.

وعليه فنموذج تولمين يمثله على النّحو الآتي: (Ch. Plantin, 2005, P,23).

Schéma d'argumentation

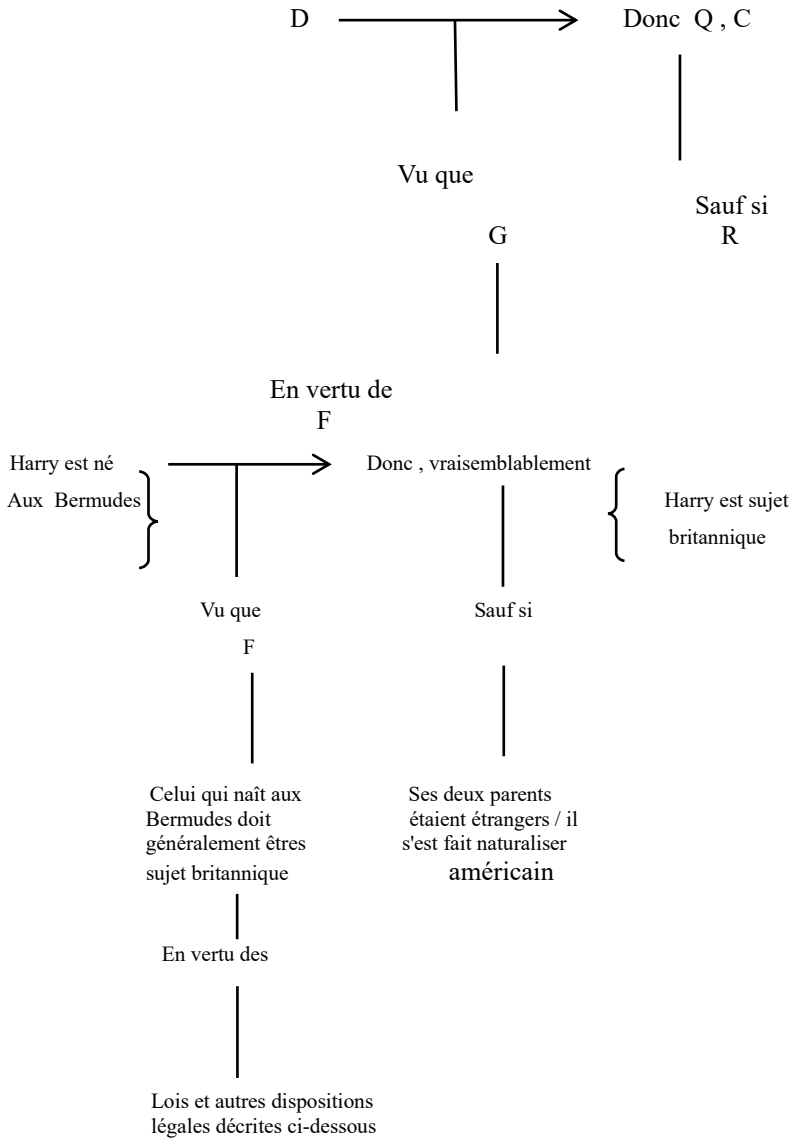

1- المخطط البياني من كتاب:

- Stephen E. Toulmin, Les Usages de l'argumentation, traduction, Philippe de Barbanter, éd, P.U.F, p. 28-29,

نموذج تولمين المترجم للبنية الحجاجية

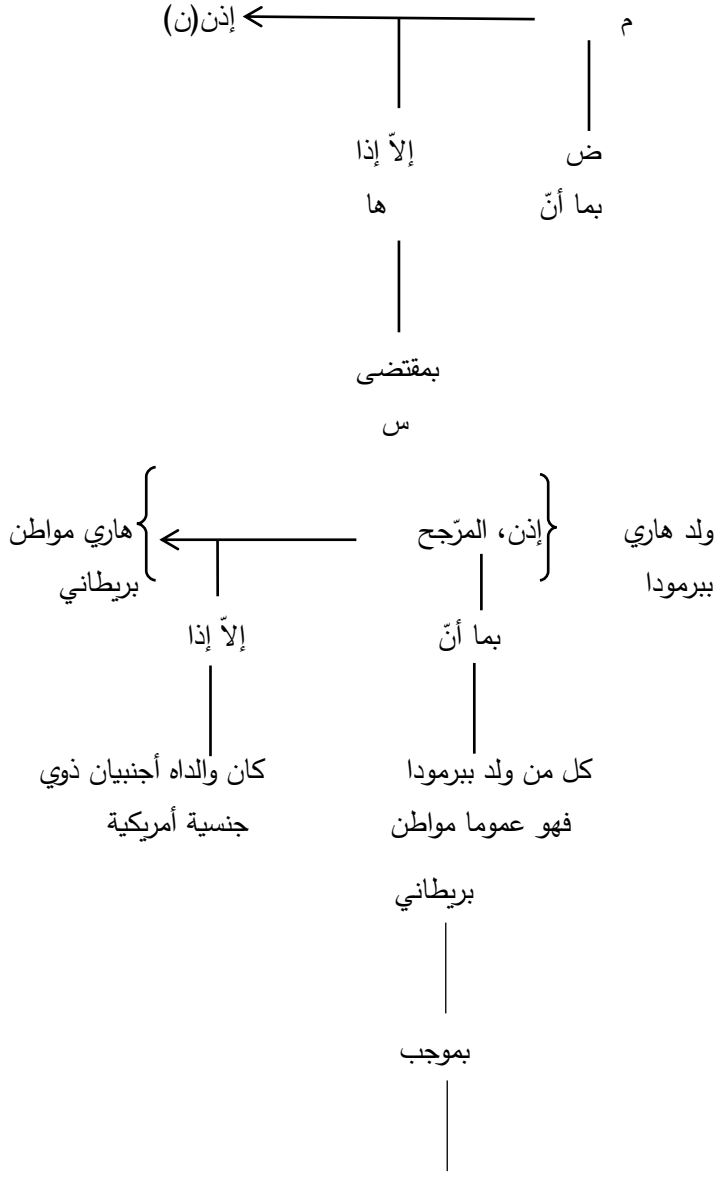

تحليل قصّة محفوظ النقاش مع الجاحظ: يرى الجاحظ أنّ الضحك يحتاج إلى مشاركة وجدانية من الآخرين، وقد يُفهم ذلك من خلال ما قاله في حكاية قصّته مع محفوظ النقاش البخيل. الذي يدّعي الكرم خشية تهكم الجاحظ وسخريته منه. والقصّة في مجملها مبنية على مفارقة الكرم والبخل، هذه الثنائية التي أسّس عليها الجاحظ أغلب قصصه ونوادره في كتاب "البخلاء".

والغاية من القصّة الكشف عن رهانات ومقاصد محفوظ النقاش الحجاجية باستخدام استراتيجيات وآليات حجاجية، الغرض منها إقناع الضيف (الجاحظ) ودفعه دفعا إلى تبني وجهة نظر البخيل (محفوظ النقاش).

لقد وظّف الجاحظ في القصّة آلية السّرد والوصف، ونجده في بدايتها يُصوّر شخصية محفوظ النقاش في هيئة الصاحب الكريم الذي يدعو رفيقه إلى المبيت عنده لقرب المسجد من منزله. ولقد وظّف الجاحظ في قصّته آلية الحوار التي عملت على توجيه المسار الحجاجي لأحداث القصّة الوجهة التي يقصدها البخيل، ضمن الهيكل الحجاجي الآتي:

– الحدث: مصاحبة محفوظ النقاش الجاحظ واستضافته له.

– المعطيات المقدَّمة:

– معطاة واحد: منزل محفوظ النقاش أقرب إلى المسجد من منزل الجاحظ (عامل المكان).

– معطاة ثان: ليلة ممطرة وباردة (عامل الزمن والبيئة).

– القضية المطروحة:

– "أين تذهب في هذا المطر والبرد"(الجاحظ، (د.ت)، ص123).

– الحجّة(المعطاة) الأولى:

ومنزلي منزلك (توظيف الحجّة بالتبادل).

–الحجّة (المعطاة) الثانية:

وأنت في ظلمة وليس معك نار استخدام حجّة الترهيب).

– الحجّة (المعطاة) الثالثة:

وعندي لِبأ لم ير الناس مثله وتمر ناهيك به جودة لا تصلح إلا له"(الجاحظ (د.ت)، ص123)؛ (اللّجوء إلى أسلوب الترغيب مع توظيف أسلوب الحصر)

– النتيجة:

اقتناع الجاحظ بوجهة نظر محفوظ النقاش وذهابه معه.

وعند إحضار محفوظ النقاش اللِّبأ وطبق التمر، وإقبال الجاحظ على تناوله أخذت القصّة منحى حجاجي يتعارض مع ما ادّعاه المستضيف (محفوظ النقاش) من كرم الضيافة، ومحاولة إقناع الضيف بوجهة نظره عبر معطاة ضمني، يمكن تمثيله في الصيغة الحجاجية التالية:

– معطاة ضمني:

"أنصحك بعدم أكله"(الجاحظ، د.ت، ص123)، (اللِّبأ والتمر)

– والحجج المعطاة باستخدام آلية الوصف وإيراد جملة من الاحتمالات التي يمكن أن يتعرض لها هذا الضيف لو مدّ يده وأكل ما حضر. وذلك بتوظيف مجموعة من المعطيات التي تختص بالظرف الزمني ونوعية الأكل وطبيعة الآكل، وعليه يمكن إدراجها على حسب الترتيب الحجاجي المقدّم من طرف البخيل:

– المعطيات:

– معطاة واحد: "إنّه لَبِأ وغلظه"؛ (توظيف أداة الربط الحجاجية الواو وهي واو المعية أو المصاحبة. ولقد جعل علاقة لزومية بين اللبأ وتأثيره على المعدّة كما يمكن جعل هذا المعطاة حجّة استتباع.

– معطاة ثان:

"وهو الليل وركوده (استخدام أداة الربط الحجاجية واو المعية، من حيث أنّ الليل يستتبعه الركود والخمول)

– معطاة ثالث:

ثم ليلة مطر ورطوبة...

– معطاة رابع:

وأنت رجل طعنت في السّن.

ولم تزل تشكو الفالج.

وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء" (الجاحظ، د.ت، ص123).

ونجد محفوظ النقاش يضع الجاحظ أمام خيارين اثنين فيهما هلاكه في اعتقاده هما في الحقيقة عبارة عن استراتيجية حجاجية أسسّها هذا البخيل (محفوظ النقاش) للحيلولة دون اطعام الضيف (الجاحظ). أماّ الخيار الأوّل، فيتمثل في طرح القضية الآتية:

– النتائج:

•" كنت لا آكلا ولا تاركا (توظيف حجّة المنزلة بين المنزلتين)

• وحرشْتَ طباعك (توظيف الاستعارة)

• ثم قطعت الأكل أشهى ما كان إليك.

– القضية المطروحة الثانية:

وإن بالغت.

– النتائج:

• بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك.

• ولم نعدَّ لك نبيذا ولا عسلا "(الجاحظ، د.ت، ص123).

– الحجّة المعطاة:

"وإنّما قلت هذا الكلام لئلا تقول غذا كان وكان"(الجاحظ، د.ت، ص123)؛ (حجّة التبرير)

فمحفوظ النقاش (البخيل) يبرر موقفه بخوفه من تبعات إقدام الجاحظ على أكل طعامه، هذا الخوف الذي يتمثل في اجتناب مغبّة النّميمة التي سيتعرض لها من قبل آكله. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الفكر الجدلي الذي يتحلى به هذا البخيل.

– النتيجة:

"والله قد وقعت بين نابي أسد"(الجاحظ، د.ت، ص123).

نلاحظ في هذا التركيب الحجاجي، أنّه اشتمل كناية (وقعت بين نابي أسد) وهو كناية عن الوقوع في التهلكة وإشارة إلى وجود خيارين كل منهما مآله هلاك حتمي، بالإضافة إلى توظيف أسلوب القسم للدلالة على مبلغ حيرة محفوظ النقاش في دفع وإلزام الجاحظ الاختيار بين أمرين أحلاهما مرّ. كما يتضمن التركيب أيضا بالإضافة إلى ذلك لغة تهكمية تجعلك تضحك من صميم القلب. والنتيجة السالفة الذكر يدعمها الجاحظ على لسان بخيله بحجج يبني فيه شرط على شرط، ليخلص في النهاية إلى إقامة تركيب حجاجي ذي نظام عكسي تنازلي، مقدما النتيجة ثم الحجج المعطاة. وعلى هذا يمكن تمثيله على النحو التالي:

– النتيجة – الحجج (المعطاة) – النتيجة – الحجّة (المعطاة).

– النتيجة:

والله قد وقعت بين نابي أسد.

– الحجج (المعطاة):

– الحجّة (المعطاة) الأولى:

"لأني لو لم أجئك به وقد ذكرته لك، قلت: بخل به وبدا له فيه"(1)؛ (توظيف الاستدلال الشرطي).

– الحجّة (المعطاة) الثانية:

"وإن جئتك به، ولم أحذرك منه، ولم أذكرك كل ما عليك فيه، قلت: لم يشفق عليّ ولم ينصح". (الجاحظ، د.ت، ص123)، نلاحظ أنّ هناك مقابلة بين التركيبين في كلتا الحجّتين من خلال العبارات:

لم أجئك # جئتك، ذكرته لك # لم أذكرك. والحجتان تحيلان إلى وجود خيارين متضاربين، ولتدعيم الحجتين السابقتين، يأتي الجاحظ ببنية حجاجية مبنية على أساس قياس الاختزال؛ باختزال الأدلة السابقة والحجج المعطاة في حجّة وبرهان واحد انطلاقا من البنية الحجاجية ذات النظام العكسي التنازلي الآتية:

– النتيجة – الحجّة.

– النتيجة:

– برئتُ إليك من الأمرين جميعا.

– الحجّة (المعطاة):

"فإن شئت فأكلة وموتة، وإن شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة""(الجاحظ، د.ت، ص123). يلجأ البخيل في هذا السياق إلى توظيف حجّة التوريط أو التضييق (argument de restriction)، وفيها يضع الأكيل أمام خيارين كلايهما يفضي إلى نتيجة حتمية، تلزمه الامتناع عن الأكل. ورغم محاورة ومداورة وتحذير وتذكير وتنبيه محفوظ النقاش (البخيل) للجاحظ، إلا أنّ هذا الأخير أتى على كل شيء وأمعن في الضحك، معقبا على ذلك بقوله: «ولقد أكلتُه جميعاً فما هضمه إلاّ الضحِك والنشاط والسرور» (الجاحظ، د.ت، ص123).

الخلاصة:

رأينا من خلال هذه الورقة البحثية طريقة بناء الحجة عن طريق الاستدلال القضائي، وهذا لا يمنع من تطبيق نموذج تولمين في تحليل البنية الحجاجية على مختلف أنواع البنيات الخطابية الأخرى، خاصّة ما تعلق بالخطاب الفني الذي يمكن أن يستند إلى هذا النموذج في استظهار البنية الحجاجية وتبيان طبيعة الانتقال من حجة إلى أخرى بحسب عناصر التحليل محل الدراسة.

[1] – النّص في لغته الأصلية:

«Il se désole du fait que la logique se soit jusqu'à maintenant développée dans un éloignement assez radical de la discussion ordinaire. Il déplore la distance et la séparation qui se sont établies entre la logique formelle et nos tentatives quotidiennes de prouver, de fournir des raisons ou motivations à nos opinions et positions diverses.

- Ph. Breton, Histoire des théories de l'argumentation, édition la Découverte, Paris, 2000, p.54.

[2] – الفكرة في لغتها الأصلية:

«D'une façon générale, cette philosophie oriente tout l'ouvrage, qu'on peut lire comme un plaidoyer pour une analyse des pratique argumentative concrètes, accompagnant un retour aux «usages ordinaires » de mots comme logique ou argumentation »

- Ch. Plantin, Essais sur l'argumentation, , éditions Kimé, Paris, 1990, p.22.

[3] – **الفكرة في النّص الأصلي، كالآتي:**

«L'exemple attire justement l'attention sur l'importance de la catégorisation et de la déduction intracatégorielle dans l'activité argumentative ordinaire, mettre ainsi un syllogisme au fondement de l'activité argumentative»

- Ch. Plantin, L'argumentation, éd P.U.F, Paris, 2005, p.22.

[4] - Ch. Plantin, L'argumentation, éd P.U.F, Paris, 2005, p.23.

- الجاحظ، أبو عثمان، البخلاء. تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د.ت).

- **المراجع الأجنبية:**

1- Ch. Plantin, (2005), L'argumentation, Paris, éd P.U.F.

2- Ch. Plantin, (1990), Essais sur l'argumentation, Paris, éditions Kimé.

3- Ph.Breton, (2000), Histoire des théories de l'argumentation, , édition la Découverte,

4- Stephen E. Toulmin,(1993), Les Usages de l'argumentation, traduction, Philippe de Barbanter, Paris ; éd, P.U.F.